الصّحافة: عندما تحوم الشكوك

يتيح لنا رواق الكمان الازرق بسيدي بوسعيد ومنذ 26 سبتمبر المنقضي فرصة اكتشاف جانب من لوحات وأعمال اثنين من أهم الفنانين التونسيين المعاصرين وهما رفيق الكامل وقويدر التركي، حيث نجد في هذا المعرض خمسة أعمال لرفيق الكامل أنجزت في سنوات 86و87و1989 بالإضافة إلى لوحة تعود إلى سنة 1992 كما نجد في هذا المعرض أعمالا في الليتوغرافي لقويدر التركي وعددها ثلاث تعود إلى سنوات 75 و1979 بالإضافة إلى ستة أعمال بـ «القواش» تعود إلى 87 و91 و1992.

في هذا المعرض الذي احتوى على عدد محدود من أعمال الفنانين الاثنين تم تقديمه على أنه معرض ثقافي وهذا يعد سابقة في انشطة اروقتنا الخاصة بل وحتى العامة حيث أن الاخيرة تكتفي بذكر أنه معرض فني دون اشارة الى ما له علاقة بالمال والاعمال ولتأكيد أنه معرض غير مخصص لبيع الاعمال فإن الجذاذة الفنية المرافقة للمعرض لم تتضمن اسعار اللوحات، فهل نحن بهذا امام توجه جديد لأروقتنا الفنية نعلن فيه انخراطها في حالة من الزهد وتحوّلها إلى دور للثقافة?

أم أن أعمال معرض رفيق الكامل وقويدر التركي تعود إلى مجموعة خاصة على ملك أحد المقتنين والذي قد يكون صاحب الرواق نفسه أي رواق الكمان الازرق وهذا في صورة وجوده يعد أمرا طبيعيا والاعلان عنه لا يمكن أن يثير حساسية أي كان بقدر ما يعزز قيمة تلك الاعمال ومسار هويتها من مقتن معلوم إلى آخر وهو أمر شائع في كل سوق فنية حيث نجد متاحف وأروقة ومؤسسات تقدم مقتنيات كبار جامعي الاعمال الفنية.

ووفق ما اعلنه رواق الكمان الازرق ، فإن أعمال قويدر التريكي ورفيق الكامل تم عرضها في معهد العالم العربي بباريس سنة 1988 وبإحدى المؤسسات الفنية بسانتياغو الاسبانية سنة 1993.

هذه الاعمال تعرض لأول مرّة برواق الكمان الازرق والسؤال الذي يطرح نفسه بهذا الخصوص: كيف وصلت هذه الاعمال الى تونس لتعرض برواق الكمان الازرق?! ولعل الاجابة عن هذا السؤال تمكننا أن نعرف لمن تعود ملكية تلك اللوحات في هذا المعرض الثقافي والذي انتظم برواق تجاري خاصة وأن ما لفت انتباهنا عدم حضور الفنانين الاثنين في افتتاحه واذا كان قويدر التريكي معروفا بإنجازاته في قريته بالوطن القبلي، فإن رفيق الكامل لم يعرف عنه مثل هذا الغياب في معارضه الفردية أو الثنائية فهل أن هذه الاعمال لا تعنيهم مادام المعرض غير تجاري ومادامت تلك الاعمال تعود بالاقتناء أو بأي شكل من أشكال المبادلة لأحد الخواص أو لمؤسسة ثقافية ما.

بالعودة إلى مصدر تلك الاعمال وكما حدّدها رسميا رواق الكمان الازرق فإننا نجد وبالنسبة إلى معرض مؤسسة كونسورسيو داسيداد بسانتياغو الاسبانية (مقاطعة غاليسيا) الذي انتظم سنة 1993 نجد أن رفيق الكامل شارك بسبعة أعمال تعود إلى سنتي 86 و1987 من بينها أعمال موجودة حاليا برواق الكمان الازرق مثل «فايزة» و«الضحكة المجنونة».

أما قويدر التريكي فإنّ أعماله المشاركة كانت مختصرة على لوحات من «القواش» على الورق وعددها 12 عملا تعود الى نفس التاريخ (1991). ولا يمكننا الجزم بأن من بينها أعمالا معروضة حاليا برواق الكمان الأزرق.

بالعودة الى هذا المعرض باسبانيا والذي شارك فيه فنانون اخرون من المغرب الكبير وهم محجوب بن بلا، فؤاد باللامين، محمد القاسمي وعبد الرزاق الساحلي، فإننا نجده في تنظيمه وتحضيره يحيل الى معهد العالم العربي بباريس والى شخصية ابراهيم العلوي مدير متحف المعهد العربي بباريس، حيث كان الأخير هو كومسير أو منسق هذا المعرض في اطار التعاون بين معهد العالم العربي والطرف الاسباني.

وليس ابراهيم العلوي هنا الا ذلك الشخص المتعلقة به قضية اختفاء أعمال فنية تعود ملكيتها الى المعهد وهذا كان محل قضية رفعها المعهد ضدّه تناولتها الصحافة الفرنسية والعربية نذكر من بينها صحيفة ليبيراسيون بتاريخ 29 ماي 2007 تحت عنوان «ميكماك بمالايما» (في اشارة الى الاحرف الأولى لإسم معهد العالم العربي بباريس) وهو ما دفع

إدارة المعرض الى اصدار بيان على الموقع الرسمي للمعهد حمل في فقرته الأولى ردا على ابراهيم العلوي نفسه والذي بقي حتى بعد خروجه من ادارة المعهد يتكلم باسمه ويتصل بالفنانين لتنظيم معارض لهم بالمعهد.
كما نشر الموقع تقرير مراجعة الحسابات حيث اتهم ابراهيم العلوي بسوء التصرف والسرقة والتلاعب واستغلال الثقة، وهي اتهامات لا تخص فقط الاستيلاء على أعمال فنية أو شراء أعمال فنية باسم المعهد وفق أساليب غير مشروعة.
في هذا الشأن تم احصاء ضياع 78 لوحة فنية من بين 270 عمل فني على ملك المعهد.
وهذا يقودنا الى السؤال عما اذا كان من بين أعمال رفيق الكامل وقويدر التريكي ما تعود ملكيته الى معهد العالم العربي بباريس...
رواق الكمان الأزرق الذي اكتفى بذكر اسم معهد العالم العربي بباريس لتقديم أعمال قويدر التريكي ورفيق الكامل، لم يوضح هذه النقطة ربما لأنه أراد اكتساب الجانب الايجابي من علاقة المعهد المذكور بتلك الأعمال لكنه تناسى الجانب الآخر والذي هو محل متابعات قضائية ومحاكم،، أي وجود 78 لوحة منهوبة أو مجهولة المصير تعود ملكيتها الى ذلك المعهد.
قد تكون تلك الأعمال مرّت ومن باب العرض الزائل فقط على جدران معهد العالم العربي بباريس وهذا يعني أن هذا حصل منذ أكثر من عشرين سنة، عرفت فيها تلك اللوحات أطوارا مختلفة من التنقل والبيع والاقتناء لتصل الى رواق الكمان الأزرق لتعرف من هناك أطورا جديدا من مسارها أي البيع لمقتنين جدد، لكن كيف ذلك والمعرض ثقافي كما ذكر الرواق ثم أين كانت تلك الأعمال منذ عرضها قبل عشرين سنة برواق الكمان الأزرق؟
الفرضية الثانية هو ان هذه الأعمال تم اقتناؤها من معهد العالم العربي بباريس وهذه تعد سابقة في تاريخ وحاضر المعهد الذي لم يتعود المعهد على تنظيم مبيعات لمقتنياته الفنية ثم هل هو يملك في قانونه الداخلي أحقية بيع أعمال على ملكه؟!
الفرضية الثالثة والأخيرة والتي نتمنى ان تكون مستبعدة هو ان أعمال رفيق الكامل وقويدر التريكي وصلت الى رواق الكمان الأزرق عن طريق وسطاء على علاقة ما بإبراهيم العلوي.
وهذا ما لا نتمناه لأنه سيثير للرواق مشاكل كبيرة ستمس من سمعة الأروقة الفنية التونسية.
ما نعرفه ان معهد العالم العربي يمتلك كمّا من اللوحات لرفيق الكامل متكونة من 14 رسم بورتريه و20 رسما خطيا DESSIN و10 لوحات في التجريد. كما أنه يمتلك أعمالا لقويدر التريكي من بينها 25 عملا في الحفر، و14 عملا من «القواش».
وهي دون شك أعمال ذات قيمة ولعل رواق الكمان الأزرق ومن خلال نجاحه وتجربته في الحصول على جانب من تلك الأعمال بطريقة لازالت مجهولة قادر على افادة وزارة الثقافة لإثراء مخزوننا الوطني من تلك الأعمال التي تخص اثنين من بين أهم فنانينا التونسيين المعاصرين.